المشرق

الآثار المصرية في سنة ١٨٩٨

الاب بولس حرون اليسوعي

يسرنا ان نشاهد في عصرنا هذا انّ العلوم لم تقتصر على الاكتشافات المادّيّة التي من شأنها ان تزيد الناس رعدا ونعمًا بل اتّسع ايضًا نطاقها من قبيل الدروس التاريخية والمعارف العقلية التي تميط الحجاب عن احوال الامم القديمة وتبعث من رمسها ما رُمس في مدافن النسيان

في هذه السنة وحدها كم عانيًا في مصر من السيّاح الذين طافوا جميع انحائها وزاروا آثارها القديمة المبثّة على مدى ضفّتي النيل من القاهرة الى اسوان. فانّ عددهم أربى بكثير على السنين المتصرمة. فكانت الذهيّات الشراعية واليواخر الكبرى من جمعيّات كُوك (Cook) وجاز (Gaze) وسفن الشركة الاميركية (American Line) فضلًا عن مراكب البريد كلّها تغصّ بعدد القوم السّفر

أجل انّ مناظر وادي النيل البهية مع ما يكتنف به من سلسلتي الجبال العربية والليبية شمالًا وجنوبًا لجديرة بان تجذب عددًا غفيرًا من الرحّالين والمسافرين. لكنّ اقوى داعٍ لهذه الرحلة والاسفار انّما هي الآثار العجيبة كلها كل ومدافن القراعنة التي لم يستطع ان يخفي عليها الدهر على تمادي عهده فبقيت سالمة صحيحة يسجيها ثوبٌ من الرمال دفنًا لمطامع الجهلة وصونًا من همجية بعض الغزاة والعوارض الجوّيّة

نظر عمومي في الاكتشافات السابقة

كان اوّل من كشف النقاب عن هذه الآثار الجليلة العلّامة ماريت بك الفرنسي وكان الخديوان المخلدا الذكر سعيد باشا واسمعيل باشا قد عهدا اليه بهذه المهمّة الجليلة فأتت بما لم

يكن في حسابهما . ومذ ذاك لم تزل الاكتشافات العجيبة تتوالى متعددة سنة فسنة لا تكاد الجلّات العلمية تفي بحق احداها لتصف خواصها ومكانها من الاهمية حتى تعقبها اخرى اعظم منها شأناً وارفع مقاماً

في سنة ١٨٨٧ كان المسيو مسپرو مدير العاديات المصرية ومنظم متحف بولاق وقف في مدافن الاقصر (ثيبة القديمة) على مخبإ كانت أودعت فيه جثث كثير من ملوك الدول الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين نُقلت الى ثمّ في أيام الخارف لئلاّ يُستهان بها ويُبخس حقّها . وكان في جملة هذه الاجساد موميا ذلك الفرعون الطائر الشهرة رعمسيس الثاني مضطهد بني اسرائيل يُستدلّ من النظر الى اساريره وجهمه على ما كان عليه في حياته من العتوّ والقطرسة

وفي سنة ١٨٨٧ وُجدت في مدينة تلّ امرنا كتابات عجيبة اطلعتنا على اسرار تاريخ مصر وغيرها من البلدان في القرنين السادس عشر والخامس عشر قبل المسيح . وتلّ امرنا هذه كان اتخذها امينوفيس الرابع حاضرة له . وامينوفيس هو احد فراعنة الدولة الثامنة عشرة عاش في اواخر القرن السادس عشر . وكان معروفاً بالاستبداد وضعف الرأي فنجا بنفسه مع آل دولته الى تلّ امرنا فراراً من سلطة كهنة امون . والكتابات المذكورة عبارة عن الواح عديدة رُقمت بالحروف المسمارية تحتوي قسماً كبيراً من مراسلات امينوفيس الرابع وكثير من ملوك اسية وامرائها المتولين الامر من سواحل سورية الى بابل

ولما كانت سنة ١٨٩١ اكتشف المسيو غريبو خلفُ المسيو مسپرو على نظ المصرية مخبأة اخرى في مدافن الاقصر جُعلت فيها اجسام جمّ من كهنة امون عهد الدولة الثانية والعشرين لما تغيّر الفراعنة على هؤلاء الكهنة وحاولوا قطع متهم كثيرون الى الحبشة واقاموا ثمّة دولة مستقلة تُعرف بهم

وما مرّ على هذا الاكتشاف العظيم الشأن السنتان او الثلاث سنوات (١٨٩٤ و١٨٩٥) حتى اسعد الحظّ المسيو دي مورغان مناظر متحف بولاق بعد المسيو غريبو على وجود آثار نفيسة في الطبقات السفلى من اهرام داشور بجوار سكّارة . ألا وهي مجموعة حلي اميرات مصريات يرتقي عهدهنّ الى الدولة الثانية عشرة أعني الى نحو القرن الحادي والعشرين قبل المسيح . وهذه المصاغات يغلب عليها الذهب الابريز وهي دقيقة النقش مُحكمة الصُنع . ومن غريب الامور انّ المتاصصين المتفقدين لكنوز الاقدمين والمتهكين

لحرمة القبور لم يطّلعوا على هذه المطالب على طول عهدها في خبايا الارض

اكتشافات السنة الجارية

امّا السنة الحاليّة فانّها استهلّت على الطائر الميمون وكان لاكتشافاتها في الدوائر العلمية احسن وقع والفضل في ذلك لنيّرة المسيو ڤيكتور لُورِه معلّم العاديّات المصريّة في كليّة ليون سابقًا ومناظر ادارة الانتيكخانة الخديويّة حالًا . ولا غرو انّ قرّاءنا يتلقّون تفاصيل هذه الاكتشافات بمزيد المسرّة

١ اكتشافات دندرة

واوّل ما يحقّ هنا ذكرهُ ما وُجد في مدينة دِنْدِرة حيثُ أحرز سابقًا ماريت بك فخرًا فاخرًا بازاحة الرمال عن هيكل الالهة هَتُور وكان مغطّى بها منذ اجيال عديدة فأخرجهُ من مكمنهِ شاهق البنيان محكم الهندسة كأنّهُ شُيّد من عهد قريب . فعاود في هذه السنة الحفر في تلك الجهات المسيو فِنْدرس پيتري المعروف بكثرة اكتشافاتهِ القديمة منها وجود المدينتين القديمتين (صان) تانيس ونوكراتيس ومنها الآثار التي وجدها في جهات الفيُّوم . وكانت غايتهُ من هذه الابحاث ان يستخلص من التراب والردم بيعةً قديمة جدًّا بُنيت بقرب هيكل إلهة المصريين هَتُور . وهي البيعة التي شُيّدت على الرأي الراجح لذكر شهداء دندرة المشهورين عند الاقباط . وفي اثناء ذلك قد فحص ايضًا هناك العالم المذكور عن آثار قديمة سابقة لتاريخ مصر المعروف . وكان المسيو دي مورغان وقف على شيء منها في نَقَّادات وطُوخ . وهذه الآثار تفرق فرقًا كبيرًا عن الآثار المكتشفة حتى اليوم وهي ليست بانيقة الصنع بيدَ انّها تنبئ عن تمدُّن اوّل سبق عهد الفراعنة .

٢ كتابات البهنساء

قد وُجد في البهنساء المعروفة عند القدماء باوكسيرنكوس (Oxyrrhyncus) الواقعة في غربيّ ابي جرجة مع ميلة الى الشمال كمّية وافرة من قطع البردي المخطوط . اكتشفها العالمان الانكليزيّان غرنفيل وهُنت (راجع ص ٣٣٢) . ولهذه الكتابات خطارة كبرى فضلًا عن عددها البالغ مضمون ٢٨٠ صندوقًا . كيف لا وهي تشتمل على عدّة صكوك ومناشير وكتابات رسميّة وطرائف لادباء اليونان وشعرائهم والفصل الاوّل من انجيل القديس متى واقوال الربّ المنقولة بتقليد قدماء النصارى الى غير ذلك من الكنوز الادبية التي لا يمكن بعدُ تقديرها حقّ قدرها

٣ عاديات اخربة الكعب

وقد عُني المسيو سُومرس كلَرك بحفر اخربة الكعب في جنوبي مدينة إسنة على اسلوب علمي فأتت ابحاثهُ بفوائد جمَّة وقد استخرج الى الآن جملة من العاديات المهمَّة كالتماثيل والآنية وغير ذلك من الآثار

وكلُّ هذه الابحاث قد قام بها بعض العلماء على نفقتهم الخاصَّة غير انَّ الحكومة المصريَّة لا تسهو عن مساعدتهم ادبيًّا وماليًّا وهي تخصص كلَّ سنة في برنامجها دراهم معلومة توزَّع على العلماء والمكتشفين علاوةً على ما تنفقهُ في سبيل متحفها الكبير

٤ اكتشاف قبرَي الملكين تحوتمس الثالث وامينوفيس الثاني

ولكن قد برَّز بين عديد المكتشفين المسيو لوره السابق ذكرهُ فكانت اوائل نظارته على العاديَّات المصريَّة متوفرة السعد والاقبال. ففي المحلّ المسمى بيبان الملوك عند الاقصر في مدفن القراعنة قد اكتشف قبرين جديدين رُمس فيهما ملكان من الدولة الثالثة عشرة وهما تحوتمس الثالث وامينوفيس الثاني

وكان اكتشافهُ لهذين الاثرين الجليلين على الطريقة الاتية انَّهُ قرأ في قدماء المؤرخين من اليونان « انَّ سيَّاح عصرهم كانوا يزورون اربعين تاورساً من نواريس القراعنة ». فقابل المسيو لوره هذا الكلام مع موقع قبور ملوك الأقصر فرأى انَّ بين قبري الملكين رعمسيس الثالث (عدد ١١) وساقي الثاني (عدد ١٥) فضاء كبيرًا ارتأى انَّهُ محلُّ قبر فيهِ القراعنة فامر بان يُحفر هناك ولم يزل مواصلًا لشغلهِ مدَّة ثمانية ايَّام حتى اكتشف قبر تحوتمس الثالث (في ١٢ شباط من هذه السنة)

فكان هذا الاكتشاف داعيًا جديدًا للبحث. وفي الحال وُجد بعد قليل درجٌ أفضى بمن تزلهُ الى دهليز. ثمَّ الى سبع غُرَف نُقش منها اثنتان نقشًا بديعًا. كان التاووس المتضمن جثَّة الملك خاليًا قد فتحهُ المتلصصون في الزمن القديم ايَّام الدولة العشرين. وكان موميا للملك نُقل الى مدفن آخر كما سيأتي. اما التاووس فهو من الحجر الرملي المحبَّب في غاية الحسن قد صُبغ باللون الاحمر. وبقرب التاووس كان تابوتان يحتوي احدهما جسم الملكة والثاني جثة احدى بناتها وقد نُزع عن كليهما حليُّهما

وقد كان لهذا الاكتشاف اهميَّة كبرى من حيث آداب المصريين ودينهم. فانَّهُ وُجدت في الغرفة الاولى قائمة اسماء الآلهة المصريَّة وهي لا تنقص عن ٧٤١ الهًا وقد صُوِّر كلّ

منها بخواصه وعلاماته المعرّفة له ورُسم معهُ اسمهُ. وفي القاعة الثانية وُجد كتاب كبير الحجم وهو اقدم نسخة من الكتاب المسمى عند المصريين « وصف ما يلقاهُ الميت في الحدس اي الجحيم » وهو كتاب الموتى يستصحبهُ الميت ليكون على بيّنة مما سيلقاهُ في العالم الآخر

ولم يكتفِ جناب المناظر العلاّمة بهذه الاكتشافات بل زاده ذلك نشاطاً لمواصلة الحفر فأدّى به ذلك الى وجود قبر آخر موقعهُ بين العددين الثاني عشر والثالث عشر المرقومين في خارطة السيّاح بازاء قبر رعمسيس الثالث المشهور بطوله البالغ ١٥٠ متراً. وكان ذلك في ٩ اذار ١٨٩٨

وقد اخبر المسيو لوره في جلسة عُقدت امام اعضاء الجمعية العلمية المصرية كلّ تفاصيل هذا الاكتشاف الخطير ووصف ما خامر قلبهُ من التأثّر لدى ولوجهِ في هذه منازل الموتى التي لم يدخلها احدٌ من البشر منذ مئين بل الوف من السنين اعني منذ انتهاك حماها لصوص الدولة الثانية والعشرين لمّا عاثوا فيها كلّ العيث فبعثروا الاجسام وجدعوا التماثيل وترعوا الحليّ وكسّروا الآنية فبقيت منذ ذاك هذه المدافن على هذه الحالة لم يقع عليها بصر باصر. (قال) « وكان ينقبّض فؤادي اسفاً اذ كنت اسير في وسط هذه الحطام من الخزف والرخام والخشب المنقوش... وكان من جملة ما شاهدتُ رأس تمثال صغير بديع الجمال وصورةُ حيّة كبيرة متثنية ماتفّة على بعضها تمثل حرس القبور. وبقرب حائط اليمين وقع بصري على فُلكين من فُلك الموتى طولهما مترانِ ونيّف قد نُقشتا بالالوان الناصعة احداهما مُنتصبة والاُخرى مُلقاةٌ على جانبها. وبجوار السفينتين فوق طبقة الردم زهور السدر والبرديّ نُقشت على الخشب وكانت هذه سابقاً تُمثل مقدّمة السفينتين ومؤخّرها الاّ انها قد سقطتا بكرور الدهور

« وكان في يدي شمعةٌ فسرتُ الى الامام واذا انا تجاه مشهد فظيع اقشعرّت فرائصي لرؤياهُ. وما ادراك ما كان ذلك المنظر ؟ انما كان شبح ميتٍ مضجعٍ على قفاهُ اسود اللون قبيح الصورة على وجههِ امارات السخريّة والهزء. وكان شاخصاً اليّ ورأسهُ يعلوهُ شعر طويل متشعّث متجعد. وكان ساقاهُ وذراعاهُ ممدودتين كأنهُ موثق بالحبال وفي جمجمتهِ اثرُ شجّة واسعة. فعمل فيّ هذا النظر الشنيع عملاً سيئاً ولم يخطر لبالي انّما ذاك جسمٌ محنّط بالمومياء كعادة المصريين. ولا اعلم أيكون بقيّةٌ من ذبيحة بشريّة او لعلّهُ بعض اللصوص قتلهُ رفقتهُ عند قسمة الغنيمة او ادركهُ الشُرَط في وقت فتحهِ للقبور فجازوهُ بفعلهِ.....»

ولحسن حظّ العلماء لم يتمكّن المتاصصون من نزع كلّ آثار هذه القبور فتسنّى للمسيو لوره ان يجمع منها شيئاً كثيراً بعدهم. فمن ذلك درعٌ اشتغلها قوم من الساميين وعدّة تماثيل آلهة مصريّة وآنيةٌ من الرخام الابيض تسمى كانوب كانت تُفرَغ فيها احشاء الموتى عند تحنيطها واصناف عديدة من التمائم والأحراز مع شيء كثير من المآكل المعدّة لارواح الموتى يقتاتون بها على زعمهم بعد موتهم كالارزّ والبطّ والعجل وكلّها ملفوفة بالقماطات ومودعة في توابيت من الخشب الابيض

لكنّ خطارة هذا الاكتشاف تتوقّف على غير ما سبق لنا وصفهُ وذلك انّ قدماء المصريين في بعض التقلّبات السياسية كانوا اتّخذوا قبر امينوفيس الثاني كخبأةٍ نقلوا اليها جثثاً محنطةً لكثير من الفراعنة. فصار هذا الاكتشاف تتمّةً لاكتشاف المسيو مسپرو في دير البحري سنة ١٨٨١. وعدد جثث الملوك التي عثر عليها المسيو لوره تسعةٌ وكلّها معروفةٌ قد رُقمت اسماء اصحابها على الاكفان. وبينها جثّة امينوفيس الثالث الشهير اكبر فراعنة الدولة الثامنة عشرة شأناً واعظمهم سلطةً. وجثّة امينوفيس الرابع الذي كان في عقله مسٌّ وهو باني تلّ امرنا كما سبق

٥ اكتشاف قبر اوزيريس في ابيدوس

قد بقي علينا ان نصف اكبر اكتشاف جرى في هذه السنة نعني بذلك وجود قبر الاله اوزيريس في ابيدوس. ولا يخفى على مَن لهم ادنى المام بتاريخ مصر ما كان يقدّمهُ المصريّون من الاكرام وفروض التعبّد لهذا الاله ولزوجته واختهِ معاً الإلهة ايزيس ولولديهما هُور وسيث. وكان منشأ عبادة اوزيريس اقدم آلهة مصر في مدينة ابيدوس الّا انّها لم تلبث ان تنتشر في كافّة انحاء البلاد فعمّتها جميعاً. وكان اوزيريس يكرَّم خصوصاً كإله الموتى وهو مع ذلك يُعدّ كرمز الحياة الباقية رغماً عن التقلّبات الطارئة عليها فيشبّهونهُ بالشمس التي تبزغ كلّ صباح بعد ان استولى عليها سلطان الظلمة وبالنبات الذي يُقطع فلا يلبث ان يَدُرّ ويربو بعد حين فكذلك يعيش اوزيريس في الانسان بعد موتهِ في العالم الآخر

والمصريّون كانوا يخبرون انّ اوزيريس وايزيس ملكا في قديم الزمان على بلدهما فرقّياهُ في معارج الخصب والفلاح. وبقي امرهما كذلك الى ان عمّها احد ابنيهما وهو سيث ويدعى ايضاً تيفون يعدّونهُ كاله الشرّ. فسيث هذا اضمر السوء لابيهِ الصالح ولم يزل يختل

لهُ في الذروة والغارب حتّى أقنع اباهُ بان يدخل تابوتًا اقتدَّ عليهِ ابنهُ الخدّاع ورماهُ في النيل. فيزعم المصريّون انَّ مياه النهر حملت بالتابوت الى البحر فساقتهُ الامواج الى جُبَيل في فينيقية. ولمَّا احسَّت ايزيس ما حلَّ بزوجها من النكبات جعلت تطوف الاقطار طالبًا لآثاره فوجدتْ جثَّتهُ بعد اللَّتيَّا والَّتي واخفتها عن العيان بما امكنها من الحرص. بيد انَّ الشقيّ سيث اطَّلع عليها وقطعها اربع عشرة قطعةً رمى بها في مواضع شتَّى. فعادت ايزيس لسفارها واسعدها الحظّ على وجود الأشلاء المقطَّعة وكانت اذا ما عثرت على عضو منها بنت في مكانهِ قبرًا. وكان اعظم هذه القبور شأنًا مدفن ابيدوس يحجُّ اليهِ المصريّون تبرُّكًا ويطلبون الدفن بقربهِ تبدًا كما يفعل اليوم اهل الشيعة بكربلاء حيث قُتل الحسين

وقد وُجد في هذه السنين الاخيرة عدَّة أعمدة وصفائح كانت تقام في ابيدوس فوق القبور تعريفًا لاحوال المرتى وهي مختلفةٌ في الحجم والطول وحسن الاتقان على حسب مقام المَيِّت. امَّا قبر اوزيريس نفسهُ فلم يقف لهُ احدٌ على خبر. فانَّ ماريت بك كان بحث عنهُ طويلًا بلا فائدة. فعاد المسيو أميليتو منذ ثلاث سنوات الى مصر واخذ يداوم الحفر في اقدم مدافن ابيدوس فوجد اوَّلًا عدَّة قبور من جنس الضرائح السابقة لتاريخ المصريين المعهود. ثمَّ لازم الحفر على طريقة نظاميَّة الى أن خدَّ في الارض اخدودًا بأمَّة قصارى بغيتهِ واطلعهُ على قبر اوزيريس وكان ذلك في اواسط كانون الثاني من هذا العام

وقد قصَّ المسيو اميلينو خبر اكتشافهِ هذا في مجلَّة افرنسية تدعى (Le Monde illustré) وصحب روايتهُ بعدَّة تصاوير فوتوغرافية تمثّل نواحي القبر واقسامهُ المختلفة

ومن المعلوم انَّ مثل هذه الاكتشافات تثير في الجمهور شعائر الاذهال الَّا ان العلماء لا يرضون بالحدس والمزاعم حتى يتبيَّنوا الامر ويتحقَّقوهُ. وعليهِ ما كاد المسيو لوره ان يسمع الخبر حتى اسرع ميمَّمًا الأقصر فتحص القبر ادقَّ تحصٍ وارسل للجريدة المصريَّة تلغرافًا هذا تعريبهُ: «انَّ وجود قبر اوزيريس في الأقصر لخبرٌ صادقٌ ثابت. والمقابر المبنية بالآجرّ اليابس هي القديمة الاصلية. امَّا التابوس الفارغ الذي تُحت ذكرًا للاله فهو من حجر الصوَّان وعهدهُ اقرب الى زماننا لعلَّهُ لا يرتقي الى ما بعد الدولة الثامنة عشرة في أيام ساقي الارزل. هذا وان النَّاحت قد حاول ان يمثّل تابوتًا قديمًا لم يبقَ لهُ اثر. والتابوس

الجديد الذي اكتشفهُ المسيو أميلينو هو الذي نُقشت صورتهُ على جانب هيكل ساتي الاول في ابيدوس. وقد هلنا التراب على المكان فطمسناهُ عملًا بالفطنة "

فهذه الشهادة لمسيو لوره تزيل كلّ شكّ عن صحّة اكتشاف قبر اوزيريس وقد آثرناها على ما سواها لما نعلم في صاحبها من طول الباع في معرفة الآثار القديمة

ولهذا الاكتشاف شأن كبير ليس فقط من حيث وجود بعض العاديّات القديمة لكن ايضاً من حيث تاريخ اديان الاقدمين اذ تُبيّن لنا جليًّا كيف اضحى بعض ملوك ابيدوس بحكمته وحسن سياسته او ايضاً بفتوحاته محبوبًا لدى شعبه فصار قومهُ يكرّمونهُ شيئاً فشيئاً حتى اذا مرّ عليهِ بعض قرون عظم شرفهُ وانتشر امرهُ وجعل الناس يجأرونهُ ويؤدّون لهُ مراسيم التعبُّد كأنهُ الهٌ صحيح

أجلْ انَّ العلماء كانوا ذهبوا الى انَّ كثيرًا من آلهة المشركين انَّما كانوا في الاصل بعض مشاهير الملوك او المشترعين او النُّسَّاك او جهابذة عصرهم المبرّزين بسموّ مداركهم ممّن شرّفوا باعمالهم ابناء جلدتهم. وذلك موافق لطبيعة الانسان الذي جُبل على معرفة الجميل يعظّم مَنْ بذلوا الوسع في سبيل صلاحهِ مع اليقين التامّ انَّ مثل هؤلاء العاملين الابرار لا يزالون بعد حياتهم الفانية يفكّرون في خير رعاياهم يشفعون بهم ويُظلّونهم بكنف حمايتهم. غير انَّ قول هؤلاء انَّما كان زعمًا لا يتجاوز حدود الظنّ والتخمين فاتى اكتشاف قبر اوزيريس داعمًا لرأيهم مثبتاً لهُ

هذا ولا تجهل انَّ الابالسة خزاهم الله تمكّنوا ايضاً في بلاد كثيرة ان يخدعوا البشر ويجلبوهم الى الشرك بتأدية واجبات السجود للكائنات الدنيّة كالحجاء والجماد بل وللارواح الشرّيرة نفسها

والمسيو لوغرين (Legrain) مفتّش ادارة العاديّات الذي يجدُّ اليوم في ترميم هيكل امون في كرْنك بذكاء عجيب مؤمل بعد اكتشاف المسيو اميلينو املًا طيّباً بان يقف هو ايضاً على قبر إله الأقصر المعروف بأمون سواء كان في قسم هيكل كرْنك القديم او في مدفن الأقصر

ذكر بعض مسائل متعلقة بالآثار المصريّة

قبل ختام هذه المقالة الوجيزة عن الاكتشافات المصريّة الحديثة احببنا توفيرًا لفائدة

القرّاء ان نعرض لهم ما يدور من الابحاث الجليلة في هذه السنة بين اعضاء الجمعية العلمية المصريّة . وانّما نقتصر على بعض المسائل المهمّة ليس الّا

١ ذكر بني اسرائيل في الكتابات المصرية

لا يخفى كيف شاعت في عهدنا هذا دروس الكتاب المقدّس . وكان جلُّ ما يرغبهُ الناس بعد ان كشف شمپوليون الحجاب عن مكنون معاني الاحرف الهيروغليفية (١ ان يطالعوا في هذه الكتابات شيئاً من اخبار بني اسرائيل الذين قضوا في مصر مئين من السنين منذ زمن يوسف الحسن بن يعقوب الى ايّام موسى الكليم . فلم تأتِ الابحاث الى هذه السنين الاخيرة الّا بالقدر القليل

وهاك معظم ما انبأتنا عنهُ هذه الكتابات من هذا القبيل . قد وجد في صفيحة رخام ناتئة النقوش على بعض جوانب هيكل امون في كرنك (٢ صوّر عدد كثير من الأسرى بينها صورة ملك ذي هيئة سامية رُقم اسمهُ بقربه «يهوذا ملك» . فالرأي الراجح انّهُ يراد به احد ملوك اليهود

ثمّ ذُكر في بعض كتابات مخطوطة على البردي انّ «الابريين» كانوا يدحرجون الحجارة الضخمة في قصر الملك رعمسيس الثاني . والرأي العامّ انّهُ يراد بالابريين قوم العبريين او العبرانيين . وهذا البابير محفوظ في خزانة اديانت ليدن

وفي سنة ١٨٩٦ لمّا كان المسيو فلندرس پيتري يحفر في مدافن الاقصر بين اخربة هيكل شيد ذكرًا لموت برنفتاح (ومعناهُ حبيب الاله فتاح) وقع على صفيحة افادهُ اكتشافها مجدًا عظيمًا . وهي عبارة عن رخامة سوداء علوّها ثلاثة امتار وعشرة سنتيمترات وعلى احد وجهيها كتابة مؤرخة في السنة الخامسة لملك برنفتاح يذكر فيها خبر غزوة هذا الملك لأمم

---

١) تيسّر لشمپوليون ان يقرأ هذه الخطوط بواسطة بعض الكتابات المرقومة بلغتين يونانيّة ومصريّة . ولمّا كانت هذه الكتابات تحتوي على كثير من الاعلام اخذ يقابل حروف هذه الاسماء بعضها الى ان وقف على حقيقة لفظها

٢) هذه الصفيحة لا تزال محفوظةً جليّة النقوش والاحرف يجدها الزائر في ساحة الهيكل الكبرى عند خروجهِ يمنًا من الباب المعروف بباب البوباستيت (Bubastites) فاذا خطا هناك بعض خطوات الى شمالهِ يرى بازائهِ صورة الملك العظمى وقمتها على الحجرة الاولى الشمالية بملوّ نصف متر من الارض قد نقشت صورة اسيرَين حُطّمت هيئتهما تليها صورة اخرى صحيحة سالمة فهي هي صورة ملك يهوذا . والمرجّح ان هذا الملك هو رحبعام الذي غلبهُ فرعون مصر شيشق او شاشنك احد ملوك الدولة الثانية والعشرين (راجع سفر اخبار الايّام الثاني الفصل ١٢ عدد ٢)

الليبيين. ثم بُعَيد ذلك بثلاثة اسطر قد سرد الكاتب اسماء كثير من الامم الذين غلبهم الفرعون وفي جملتهم بنو اسرائيل. وهذه هي المرّة الاولى وُجد فيها اسم الاسرائيليين على الآثار المصريّة. وهو مكتوب بجلاء.

â sir à al (اسرائيل)

ويقرب الاسم صُوّرت العصاة وهي عندهم رمز عن الشعوب الاجنبية. ثم يليها صورة رجل وامرأة وخطوط ثلاثة عموديّة دلالة على الجمع. هذا وان الرأي الشائع بين مفسّري الكتاب المقدّس الكاثوليكيين انّ خروج العبرانيين من مصر قد جرى في نفس هذه السنة الخامسة المذكورة هنا في الصفيحة فترى كيف امكن لراقم هذه الكتابة ان يذكر الاسرائيليين في عداد الشعوب الخارجة عن ارض مصر؟

وقد بحث عن هذه المسألة المسيو ويليم غروف (Groff) احد العلماء الاميركيين ذوي الشهرة في العلوم المصريّة. فبلغ بعد الفحص الى هذه النتيجة وهي انّ الاسطر الثلثة الاخيرة احدثُ عهدًا من بقيّة الكتابة وأيد ذلك بالبراهين الآتية:

اوّلًا اذا ما فحص احد السطور العليا المرقومة على هذه الصفيحة وقابلها مع السفلى وجد ان المعنى لا يلتحم بينهما التحامًا حسنًا. فان غاية الكاتب كان وصف حرب الملك مرنفتاح مع الليبيين. امّا الاسطر الاخيرة فيرتأي انّها زيادةٌ ألحقها كاتب آخر بعد هذا العهد انتقامًا من الاسرائيليين لخروجهم من مصر

ثانيًا انّ هيئة الاسطر الاخيرة تختلف من حيث جلائها واشراقها اختلافًا كبيرًا عن الاسطر الاولى فذلك دليل على انّها اضيفت بعد ذلك بيد كاتب آخر. وبناء عليه فانّ رأي الكاثوليكيين مفسّري الكتاب الكريم الزاعمين انّ خروج بني اسرائيل من مصر جرى في السنة الخامسة لملك مرنفتاح لم يُنقض باكتشاف الصفيحة الجديدة

٣ ابنة فرعون الذي نجّت موسى من الغرق

انّ المسيو ويليم غروف المارّ ذكرهُ يظنّ ايضًا أنّهُ اتّصل الى تحقيق اسم

بنت فرعون التي خلّصت موسى الطفل من تيّار المياه. وذلك انهُ قرأ على تابوس يملكهُ المسيو غافيليو (Gavillot) في القاهرة اسم اميرة تُدعى « بنت انتا » وقبرها عند باب الحريم في مدفن الأقصر وهي مصوَّرة هناك وبين ذراعيها طفل صغير. واسم هذه الاميرة سامي كما ترى ولعلَّ أنَّها كانت سوريَّة وكان ابوها رعمسيس الثاني مضطهد العبرانيين شديد الحبّ لها

وقد ورد اسم هذه الفتاة في تلمود اليهود الّا انَّهُ قد صُحّف على صورة « بتّ يا » فيزعم المسيو غروف انَّ اليهود غيّروا اسمها « بنت أنت » ومعناهُ « بنت الإلهة أنت » باسم « بنت يه » او « بتّ يا » اي ابنة الله وذلك تعظيمًا لقدرها وشكرًا لها على صنعها مع موسى النبيّ ونزارًا من اسم « أنت » وهي إلهة صارت بعد كرور الدهور معبودة الفجرة والساهرات (١

ودعم المسيو غروف رأيهُ هذا ببراهين أُخر مبنية على موافقة تواريخ الازمنة فبيَّن انَّ قول الكتاب المقدَّس لا يصدق سوى على هذه الاميرة وحدها. واصلها السوريّ هو الذي يُعلّل رقّة قلبها وانعطافها نحو بعض اطفال العبرانيين

٣ النصرانية في مصر في القرن الاوّل للمسيح

بقي علينا ان نذكر اكتشافًا آخر للعلاّمة نفسهِ يختصُّ بتاريخ اوائل النصرانية في مصر. ومن المعلوم انَّ كثيرًا من علماء عصرنا الذين يقاومون الدين القويم لا يرضون بتقاليد قدماء النصارى ويزعمون انَّ انتشار هذه الديانة في بلاد كثيرة لم يجرِ الّا بعد المسيح بزمن طويل. ومن جملة مزاعم هؤلاء الجحَدة انَّ الاقطار المصريَّة لم تستضئ بانوار الايمان المسيحيّ في زمن القديس مرقس الانجيلي رغمًا عمَّا كتبهُ اوسابيوس المؤرّخ قبل اواسط القرن الرابع

فالمسيو غروف اصاب في هذه السنة صفيحةً من البُرديّ تاريخها من القرن الاوّل للمسيح وجد فيها شهادةً تنفي قول الملحدين وتثبت قول اوسابيوس المعروف بأبي التاريخ الكنسي وهي مكتوبة باللغة المصريَّة المعروفة بالعاميَّة (démotique)

اما مضمون هذا البابير فهي ادعيةٌ لبعض سَحَرة مصر. وفي جملة كلام رقيته دعاء للاصنام ولمشاهير الرجال وللانبياء يستشفع بهم. وقد خصَّ بالذكر الحواريَّين بطرس الصفا ويوحنا وذكر المسيحَ واستعان « بالاب الذي في السماوات » الى غير ذلك من الدلائل

(١) وقد دعاها يوسيفوس المؤرخ في الكتاب الثاني من العاديات (ف٥) باسم « ترموتيس »

المشعرة بأنهُ عاشر المسيحيين الاولين وسمع منهم بعض تعاليمهم وصلواتهم

ومن اغرب ما ورد ذكرهُ في معرض كلام هذا الساحر « بركة الخمر في الكأس » ويزعم انها رتبةٌ يحفل بها « فيليبُس السامريّ » . أفايس في هذا القول اشارة الى ذبيحة القربان الاقدس والى بشارة القديس فيلبُس احد الشمامسة السبعة في بلاد السامرة كما أخبر في الفصل الثامن من اعمال الرسل العدد الخامس ؟ ومهما كان من شرح تفاصيل هذه الرُّقى السحريّة فانهُ لم يبقَ مجال للشكّ بانّ النصرانية كانت معروفة في مصر منذ القرن الاوّل للمسيح وانّ تقليد قدماء النصارى من الامور الراهنة الصادقة

هذا وانّنا نعلم انّ علماء الكاثوليك لا يوجبون مقالًا الّا حقّقوهُ بالحجج الصادقة واستندوه الى الشواهد الصحيحة . الّا انهم لا يزدرون ايضًا بما تأتيهم الا كتشافات الجديدة من البراهين ولو كانت على يد سفلة القوم او السحرة . وربّما اتت الشهادة من عدوّ فتزيد قوّةً وبيانًا

زينب (الزبّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رنزفال اليسوعيّ

(تابع لما قبل)

ان تاريخ خضوع تدمر للدولة الرومانية لا يُعرف حقّ المعرفة لِعدم الدلائل عليه . ومع ذلك فلا شكّ في ان انضمام تدمر الى ممالك الرومان لا يرتقي الى ما فوق السنة السادسة والثلاثين قبل المسيح . فقد ورد في تاريخ ابيانوس الروماني (De bello civili, ٧ ٩) ان مرقس انطونيوس القائد الروماني بعد ان حارب في تلك السنة الملوك الاشكيين ودارت عليه الدوائر توجّه الى الشام عائدًا من ثمّ الى رومة . فلمّا قرب من تدمر أوفد الى اهلها رسلًا يخبرونهم انّهُ قاصد مدينتهم ليُريح عندهم جنودهُ ممّا نالوهُ في الحرب الاخيرة من المشقّة والعناء . لكنّ هذا القائد كان يضمر الشرّ لاهل تدمر وكانت نيّتهُ الخفيّة ان يطلق جيشهُ على المدينة فتكون لهم غنيمة باردة يملكون اموالها ونفائسها صفوًا عفوًا

فلم يلبث التدمريّون ان اطّلعوا على حقيقة الامر فاخذوا حذرهم من غارة الرومان وبادروا الى نقل اموالهم وعيالهم وعبروا الفرات مُسرعين . فلمّا سمع الملك بذلك تعقّب